"الرجولة وتغير أحوال النساء"
طاولة مستديرة
حول كتاب الدكتورة عزة شرارة بيضون

تنسيق د. رشا الأمير***

مساء الخميس الواقع فيه السابع والعشرون من شهر أيلول (سبتمبر) من العام السابع من بعد الألفين، التفت كوكبة من الباحثات حول زميلتهن الدكتورة عزة شرارة بيضون لنقاش حول كتابها الصادر مطلع هذا العام **الرجولة وتغّير أحوال النساء**، عن المركز الثقافي العربي، وذلك لسببين على الأقل : توكيد الوشيجة بين بحثها وبين كتابنا السنوي الماثل بين أيديكم، وعدم تفويت فرصة توثيق ما نتشافهه في جلساتنا الخاصة حول مطالعاتنا الأكاديمية .

أغلب الباحثات اللواتي لبين الدعوة قرأن الكتاب .اثنتان منهن عبّرتا كتابة في مقالين منشورين في الصحف عن رأييهما.

أثار البحث منذ صدوره اهتماماً أكاديمياً وصحافياً دفع ببعض الأساتذة إلى اقتراحه مرجعاً يستفيد منه الطلاب والأساتذة هذا، وقد منحته منظمة المرأة العربية للعلوم الاجتماعية جائزتها للعام 2007.

تحلقنا إذن في رحبة محترف صديقتنا الغامرتنا بلطفها وكرمها الرسامة نجاح طاهر وفي نيتنا أن يدور كلامنا منظماً ومفيداً. وهكذا كان، التزمنا جميعاً بالوقت المباح وفضلنا العفوية أسلوباً، أي أن المتكلمات لم يقرأن نصوصاً مكتوبة بل ارتجلن ما عندهن مما ساهم في توتير النبرات توتيراً صحياً فيه أخذ ورد ودعابة.

حين انفض اللقاء ووجدنا أنفسنا أمام الأشرطة التي وثّقت له، حاولنا وسعنا أن لا نحيد عن الأصل الشفهي، بيد أن العربية لا تتيح لنا بعد هذا الترف، فاستشرنا زميلاتنا وطلبنا من الراغبات "تحسين" انفعالاتهن الكلامية، أن يفعلن ؛ وهكذا كان، فضمر النص خلال تشذيبه غير أنه حافظ في مواضع كثيرة على عفويته.

يبقى أن ثلاثة من المتحدثين والمتحدثات فضلوا عدم توثيق ما قالوه، ونزولاً عند رغبتهم حذفنا ما أدلوا به، وأن تسلسل الشهادات بريء من أية تراتبية، علماً أننا أسلمنا لعزة مغاليق ختام ما هو إلا بداية جديدة، فهي والزميلات منكبات، بلا ريب، على أعمال قد تدهشنا.

ر.أ

طاولة نقاش أبحاث حـول كتـاب الرجولـة وتغيـر أحـوال النسـاء للـدكتورة عـزّه شـرارة بيضون.

رشا الأمير

العزيزات،

إنـه لمـن دواعـي سـروري أن نلتـفّ عصـر اليـوم للتـداول فـي الرجولـة وتغيّـر أحـوال النساء،كتاب عزة شرارة بيضون البحثي الثالث .

قبل سنوات، وصلت عزة شرارة بيضون إلى مكتب دارنا اليانعة، دار الجديد، مقترحة علينا نشر بحثها حول صحة النساء النفسية.

يومذاك، اسمحن لي أن أعترف لكـنّ، كانـت علاقتـي بمفهـوم الجنـدرة معدومـة - أو تكاد ، إذ إن المبحث برمته لم يكن في مجرّة اهتماماتي.

عام 1998صدر صحة النساء النفسية، بين أهل العلـم وأهـل الـدين عـن دار الجديـد؛ لذا، أي لضرورات مهنية صرفة، قرأته مخطوطا، وهذه القراءة الكواليسـية، تلـك التـي تعرفنها جميعا، ممتعة ومرهقة في آن.فأمام الناشر الغيور والكاتب –الباحـث القلـق رزمة أوراق منضـدة تسـتعد بصـبر وأنـاة ليـوم ظهورهـا علـى القـراء والقارئـات كتابـا، يدهش شكلا ومضمونا.

بجدّ عمل فريق الدار جنبا إلى جنب مع الـدكتورة عـزة، ومعـا فرحنـا يـوم صـدر لائقـا عالي المقروئية.

صحة النساء أعانني علـى ولـوج عـالم علـم الـنفس الاجتمـاعي، بسـببه تراجعـت أميتي قيد أنملة أو اثنتين، وأنا بذلك مدينة لعزة.

عزة باحثة ماراتونية، تقطع كيلومترات من الكتب بلا ملالة. لا يفوتها مرجع أو مقال. تلتهم كل ما يحيط بموضوعها،
تفند مرة وأخرى تناقش وتحاجج بلا كلل.
أيعيا قرّاؤها؟ أيرهقون؟ أيطالبونها بكوب ماء بين الفينة والأخرى كي يستردوا أنفاسهم؟ أرجح أنهم لو أن أتيحت لهم مخاطبتها لرفعوا الأعلام البيضاء ولطالبوها بهدنة طويلة.

تؤكد لنا الباحثة في كتابها الأخير أن نساء مجتمعنا قد تغيرن وأن ما أصابهن سيعدي بلا ريب كوكبهن المجاور، كوكب الرجولة.
ممتعة صولات عزة شرارة في بطون الكتب، منها يتعلم غير المتخصص الكثير . ولن أنغص عليها كما يفعل الأساتذة الأشرار يوم نقاش أطاريح تلاميذهم بلفت نظرها إلى هامش غير واضح من هنا، أو اسم، سيستشنع صاحبه على الصفحة 157 أن تكون عزة قد حرفته من جهاد إلى فريد!

لا، لن أتوقف شاهرة أقلام المدقق الحمراء المسننة.

لست الليلة في هذا الوارد، بل بودي أن أستفسر من عزة ومن المتخصصات بينكن حول مواضيع لم يمكنّي الكتاب من سبر غور غورها:

كيف وصلت الباحثة إلى ما وصلت إليه أن الرجال المسيحيين أكثر تعلقا بالمنمط الذكري من الرجال المسلمين ؟
وكيف استنتجت أن الرجل المسلم أكثر تبنياً للمعتقدات السائدة حول دور المرأة؟

أسئلة كثيرة شرّعها لي بحث عزة، وحتى الساعة وبعد قراءتي لكثير من الكتاب، ما زلت كمن لم يغادر باب مبحثها الأساسي.أهذا ما قصدته زميلتنا، أن تتركنا غرقى نطلب منها النجدة؟

لن أترك سوداويتي تجنح بي إلى معارضة ما حاولت عزة تبيانه من إيجابيات وتغيرات جندرية . لا شك عندي أن النساء والرجال يتغيّرون .

يتغيرون وهم شهداء على مجتمعات لا ارتواء لعطشها غبّ دماء بناتها وأبنائها!

أنحتاج لكل هذا العنف كي نؤكد، رجالا ونساء، جنادرنا القاتلة؟ أرجوكن جوابا على تغير أحوالنا.

نهى يومي:

اعترف بالجهد الذي بذلته الباحثة في هذا البحث، وصبرها على الكتابة في أحلك الظروف التي مرت على لبنان، وأحيي فيها هذا الاصرار على الانجاز. وانطلق في نقاشي للكتاب من تساؤلات لا أجوبة جازمة لها، فكانت آخر جملة في الكتاب مصدر الهام :" أملنا أن نكون قد قدمنا مثالا على تمرين في إثارة الشكوك في وجه بعض اليقينيات".

النقطة الأولى،اتسمت قراءتي لهذا الكتاب بالتعثر بسبب الحجم الكبير المخصص لاستعراض كتب متخصصة في مجال الذكورة، الذي غطى على موضوع الدراسة بدل ان يناقشها ويكون في خدمتها، فبدا الامر كما لو انه كتاب في كتاب. إذا أحصيت عدد الصفحات المخصصة لاستعراض هذه الكتب، سنجدها أكبر بكثير من الجزء المخصص لموضوع الدراسة الذي هو العمل الميداني تحديدا. أقرأ وأتساءل لماذا طغى استعراض الدراسات المنجزة حول الذكورة على موضوع الباحثة؟ لماذا احتل الموضوع الأساسي حيزا أصغر؟

لم يكن واضحا للقارىء إلى أين سيصل في القراءة بعد كل هذا الإستعراض المعرفي على أهميته. اذ لم يستثمر معرفيا بشكل منظم وبارتباطه بالمبحث.

النقطة ثانية التي توقفت عندها هي العينة. و أتساءل هل ممكن لطلاب جامعيين لم يخوضوا تجارب حياتية نستطيع أن نبيّن من خلالهم إلى أية درجة تغيرت ذكوريتهم أو أنوثتهم ؟ إذ يحتاج تبين التغيير إلى محك تجربة ميدانية. أعتقد أن المقارنة بين طلاب/طالبات وشباب /شابات متزوجين ك couple jeune وعندهم أولاد، ربما أوضح مدى التغيرات، لأن الرجل يتبيّن مدى تغيّره بعد الزواج في البيت من خلال علاقته بزوجته واولاده.وكذلك هو حال المرأة المتزوجة. ونضيف الى عامل الزواج عامل المهنة التي تكشف العلاقات بين الجنسين في سوق العمل وكيفية مواجهة الذكورية. انها تحديات علائقية مهمة. خاصة وانه في بلادنا لا يعيش الشباب/الشابات وبشكل عام، علاقات منتظمة بين الجنسين تتميز بالحريات على انواعها، ومن بينها الحرية الجنسية.

النقطة الثالثة هي مسألة الأندروجنية, الحقيقة لم أرتح لهذا المفهوم ، بل أثار لدي العديد من التساؤلات: هل يوجد فعلا" كائنات المكوّن الذكري والمكونّ الأنثوي الإثنين مرتفعين بشكل أنهم يشكلون حالة من حالات العيش التي هي مناسبة لعصرنا" ؟ لا أدري. هل ارتفاع الذكورة وارتفاع الأنوثة عند شخص محدد هو شيء يجعل من صحته النفسية سوية وتوازنة ؟ خاصة وأن النظريات الحديثة في طب الأعصاب والدماغ تؤكد على الاختلاف الجنسي في تكوين الدماغ وطريقة عمله. في هذه الحالة إذا كان التكوين الجنسي مختلف ألا ينعكس على السلوك وعلى التصورات وعلى الأدوار؟

النقطة الرابعة: في مسألة المرجعية أتساءل ما هي المرجعية الثقافية عند الشباب؟ وجدت أن النتيجة التي وصلت إليها الباحثة من أن الطالب هو إنسان محافظ دون فريقات وتنويعات، ما خلا الفروقات الدينية، أمر لافت ومحير. وهنا اتساءل حول العوامل التي ذكرتها الباحثة لرصد التغيير (عمل الأم، الانتماء المديني او الريفي، عامل التعليم والاختصاص) وتبعا للباحثة فإنها لم تكن مؤثرة بتاتا في

عملية التغيير لدى الشباب. إذا كانت كل هذه العوامل غير مؤثرة فما هي العوامل المؤثرة من اجل التغيير في الهوية الجندرية؟

على ان الملاحظة الميدانية في حياتنا اليومية ترينا تشابها في المظهر بين الشباب والشابات (اللباس، اللغة وأشكال التعبير) صرنا نرى شبابا يتزينون ويطيلون الشعور ويتخذون مظاهر أنثوية تقليديا، والشابات يرتدين الجينز غالبا ويقصرن من شعورهن ويتخذن مظاهر ذكورية تقليديا. أي نرى تمازجا وتغيرا في الصورة، فما هي أسبابه؟

هنا أتوقف عند السمات، فاجد أن بعض السمات التي وردت (ص 124) حول ماذا نسمي سمات ذكورية وماذا نسمي سمات أنثوية فمثلا. ورد في لائحة سمات الذكورة التي يشترك في عزوها الشبان والشابات بذواتهم بالدرجة ذاتها وسمات الأنوثة أيضا، أنه عند الذكورة ميل إلى تحليل الأمور و ثقة بالنفس وميل للمرح وإستعداد للنجدة وفعالية في التعامل مع الضغوط،الخ. لماذا هذه هي سمات الذكورة فقط ؟ أما سمات_الأنوثة فهي تفهم حاجات الآخرين، التمهل في معالجة الأمور،الخ. لست أكيدة من ان هذه السمات هي للأنوثة فقط وسابقتها هي للذكورة فقط. ان تفصيل السمات على هذه الشاكلة هو المسؤول الى حد ما، عن النتيجة التي آلى اليها البحث. ربما من المفيد اعتماد سمات اضافية ملتبسة تجعل امر التفكير في الهوية الجندرية أكثر غورا في الذات.

حين نقسم هذه السمات على هذا الشكل ثم نجد بالمقابل شباب وشابات تتطابق سماتهم مع مفهوم الأندروجنية بمعنى أنّ هذه السمات متساوية عندهم. ترى ألا نسعى الى تنميط جديد للهويات الجنسية؟

نقطة أخيرة اتوقف عندها وهي حول الفروقات بين المسلمين والمسيحيين- التي ربطتها أنيسة بالسلطة- ونتيجة البحث النهائية من ان الشباب/الشابات في غالبيتهم محافظين، إذ ترتفع الذكورة عند المسيحيين إناثا وذكورا، ومع ان الباحثة حاولت تحليل هذه المسألة لكن بقيت نقاط عالقة.

ذكر في عدة سياقات في البحث مسألة التماهي مع النموذج الغربي، لكن حاليا مع العولمة سقطت هذه المسألة، فعن أي نموذج غربي نتحدث وأية جهة ذاهبة باتجاه الغرب مع عولمة التكنولوجيا والاتصالات؟

ربما فتح الفروقات بين المسيحيين والمسلمين(ذكورة مرتفعة لدى المسيحيين بدرجة اكبر من المسلمين) على مسألة المؤسسات تكون مفيدة في فهم نتائج البحث. فنتساءل: هل لأن الدين المسيحي اعتمد بنى مؤسسية في عيشه، عكس الدين الاسلامي، هو الذي ادى الى رفع السمات الذكرية وان الدخول في المؤسسة هو المعادل للذكورة؟ ومع اهمية التحليل الذي نجده في الصفحتين 262-263 والذي يشدد على اختلاف الطائفتين، فاننا نلحظ اختلاف الأولويات لديهما

فالإسلام من أولوياته الجماعة والعلائقية. فلماذا لا نربط الجماعة بالعائلية لفهم الفروقات؟ من الممكن ان يكون هذا الترابط العائلي متخيّل فقط ، وعلى مستوى العيش اليومي من الممكن ان تتساوى الطائفتان. فالعلائقي مكون عشائري موجود أيضا لدى المسيحيين. بالتالي فإن الجزم في هذه المسألة له محاذيره.

تكلمت الباحثة أيضا عن الفردية وعن تميز المسيحيين بالتربية الفردية أكثر من الإسلام. اني أشك في هذه النتيجة وأرى تناقضا ما بين تصور الباحث والواقع. فاذا احتكمت الى مشاهداتي الحية وخبرتي المعيشية، فانني لا أرى أن المسيحيين أكثر ذكورة طالما ان المجتمع المسيحي يقوم أيضا على العائلية والعشائرية (البقاع والهرمل والشمال) . أليس العلائقي هو سمة انوثة؟ فكيف هم اكثر ذكورة؟ إلاّ إذا أدخلنا فكرة المأسسة لدى المسيحيين. ان الدين عامل مؤثر في المرجعية الثقافية لكن هناك عوامل اخرى مؤثرة ايضا منها ان بعض الشباب/الشابات الجامعيين لا يتماثلون اليوم بمرجعية الأب في يومياتهم ، إذ تجاوزوا المرجعية الأبوية والأمومية

بفضل معارفهم الحديثة في بعض جوانب حياتهم، أفلا تنزاح هنا هويتهم الجندرية عن الذكورة والأنوثة التنميطتين؟
واخيرا انا حذرة حيال تحليلك لمسألة الحجاب في لبنان من انه ذو طابع سياسي فقط. إذ هناك تعميم للحجاب في مناطق كثيرة في لبنان، واكثر ما نجد الحجاب هو في المناطق ذات الغالبية لطائفة معينة ، وضعفه في مناطق الاختلاط الطائفي. إن العامل السياسي وحده لا يفسر ظاهرة الحجاب في لبنان. هناك عوامل أخرى مهمة منها سيادة أجواء محافظة في غالبية المناطق اللبنانية، وصعود الأديان كمرجع للحياة والعيش في مواجهة العولمة واهتزاز الحدود الجغرافية وحدود الهويات. فالمسألة ليست فقط انتماء إلى أحزاب سياسية دينية، وما الانتماء إليها إلا مظهرا وليس سببا.

<u>أنيسة الأمين</u>

تحت هذا العنوان , تفتح لنا عزّ ة باباّ واسعاّ للتفكير والنقاش حول الذكورة والأنوثة . كأن هذه القضية التي شغلت الفكر البشري منذ بدء التكوين حتى اليوم مازالت على حرارتها . رب قائل إن مفردة تغير الموجودة , بدهاء أو بقناعة, في العنوان سوف تقودنا إلى عوالم خفيت عنا وسوف نلقى ما نحلم به ونتصوره من مساءلة مثل : " أيها الرجل من أنت ! "و " أيتها الأنثى كيف تغيرت ! "
في الواقع أن قدرة الباحثة على حبك الموضوع هي من الصلابة بحيث يصعب على أي قارئ اختراقها , منهجاّ وطريقة وقياساّ . أضف أن المصادر المعتمدة هي من الغنى ومن الشمولية بحيث إننا نجد أنفسنا أمام عمل بحثي محترف ومتماسك , خاصة أنه محصلة أعوام طويلة من التنقيب الرصين في هذا المجال .

تنطلق عزّة من رؤيا نظرية هي الأندورجينية ومن المنظرة لها ساندرة بم ومن أداة قياس شديدة التعقيد ولكن زبدتها أن الذكورة والأنوثة هما سمتان متعامدتان في الفرد الواحد . إن اختيار السمات في علم نفس الجندر هو أمر مشروع , بمعنى أن " تغير أحوال النساء " يقع هنا في هذا الحيز . وهنا يحضرني سؤال لن أجيب عليه الآن " هل أنا أنيسة زوجة الياس مرعي مختلفة , على مستوى السمات, عن أنيسة جدتي لأبي وزوجة جدي حسن مهدي الأمين؟ "

ذهبت أبحث عن أسطورة الأندروجين : Mythes et mythologies les grands textes commentés . Le Point Hors- Série juillet-Aout 2007 pp62-63

ولقد وجدت ما يلي :

يروي أفلاطون في le banquet ما حصل سنة 416 ق م وأثناء عشاء لدى الشاعر اليوناني Agathon . بعد العشاء ومثلما تجري العادة يؤدي المدعوون خطباً جميلة وهم يحتسون الخمر. كان الموضوع في تلك السهرة عن الحب. انبرى الشاعر Aristophane (445-385avant J C) راوياً أسطورة حول أصل البشرية المتوجهة نحو الإزدهار مقدماً شرحاً لضرورة الا تحاد الجسدي وللمثلية الجنسية Homosexualité .

يقول أرسطوفان إن البشرية كانت في اليدء متشكلة من كائنات دوبل doubles وكانت على ثلاثة أنواع :

- نوع متكون من فردين ذكرين
- نوع متكون من فردين أنثيين
- ونوع ثالث متكون من فردين واحد مذكر وواحد مؤنث (الأندروجين) وهذه الكلمة تعني " مذكر ومؤنث".أي كائنين جنسيين .
- كان من الممكن أن تسير الأمور على هذا النحو , لو لم تتضارب هذه اللحمة مع منطق الكون . فالفصل بين السماء والأرض , والتمييز بين الآلهة والبشر والإختلاف بين الجنسين هي مسائل مترابطة لأنها تصون النظام

الأنتروبولوجي والكسمولوجي وحتى التيولوجي الذي تهدده هذه الكائنات التي على شكل كرة Boule والتي تريد القضاء على المسافات . وهنا تدخل زويس Zeus وفصل هذه الكائنات المتمردة/ الدوبل عن بعضها وذلك لإضعافها.

كل جزء من هذه الكائنات بات متحسراّ على جزئه الثاني. بحث عن ملاقاته والإلتحام به حتى يصير واحداّ معه, ولكنهم كادوا يموتون تضوراّ لأن أعضاءهم الجنسية كانت في ظهورهم وبالتالي لايستطيعون التوحد . هنا اضطر زويس للتدخل مرة أخرى ووضع الأعضاء الجنسية بشكل يسمح لكل جزء بجماع الجزء المكمل إنما بشكل متقطع لأن بقية الوقت يجب أن تكون لانشغالات تجعل الحياة ممكنة في المجتمع : الأكل والشرب الخ

بربط السلوك الجنسي للأفراد , الرجال أو النساء , يثلاثة أنواع /دوبل أصلية منقسمة إلى اثنين بفعل تدخل زويس فإن أسطورة أرسطوفان تشرح بطريقة خاصة ذلك الحنين الذي يرافق الاتحاد الجنسي ويرمي عليه ظلالاّ من التشاؤم : الاتحاد الجنسي لا يجد حجته القصوى في اللذة, هو دائماّ خيبة لأنه لا يروي رغبة إعادة تكوين كائن مزدوج أصلي .

تبين هذه الأسطورة أيضاّ أن المثلية الجنسية Homosexualité لا يمكن اعتبارها انحرافاً عن Hétérosexualité لأن الكوبل رجل/ رجل والكوبل امرأة /امرأة هو أيضاّ أصلي وبالتالي "طبيعي" مثله مثل الكوبل رجل/امرأة أو امرأة/ رجل .

طبعاّ ليست هذه رؤية فرويد الذي كتب في "ثلاث محاولات حول النظرية الجنسية""نعلم وبكثير من الدهشة أنه يوجد رجال موضوعهم الجنسي الرجل وليس المرأة , كما توجد نساء , تمثل المرأة بالنسبة لهن موضوعاّ جنسياّ ".

في هذا المقطع , يلمح فرويد , بكل تأكيد إلى رواية أرسطوفان, ولم يستبق مخترع التحليل النفسي إلا نوعاّ واحدّ أصلياً ألا وهو الأندروجيني. هذا التقليص سمح له بربط أسطورة أرسطوفان برواية بدء التكوين حيث حواء مسحوبة من ضلع آدم .

وتكون النتيجة بالنسبة له أن ال Hétérosexualité هي سابقة وأن Homosexualité ليست سوى انحراف : جنس يبحث ليس عن المختلف وإنما عن الشبيه .

كل ما تقدم يعود إلى البحث المقدم عن الأسطورة وهنا سوف نتابع معاً ما يترتب على اعتبار الأندروجينيه قبلة الجندر ومآله :

الملاحظة الأولى : إن تقليص الأندروجينية إلى سمات وتنميط وإزاحة المستوى الجنسي ومترتبانه بما يخدم منطلقات نظرية (الجندر) لا يجيب على سؤالي الشخصي /النظري : بماذا أنا مختلفة عن جدتي وكيف تغيرت لأنها كانت أكثر نشاطية مني وفي ظروف أصعب .
الملاحظة الثانية : إن إزاحة المستوى الجنسي من التحليل وجعل المذكر والمؤنث وحدة متكاملة في شخص واحد أزاح من التحليل الإختلاف الجنسي الذي هو أصل الكون . ألا يدخلنا هذا وبشكل مقنع في شكل جديد من الmisogynie , ربما لم يخطر في بال العزيزة عزّ ة ! كيف ندافع إذاً عن قضية المرأة وماهي هذه القضية ؟ هل يكفي أن أتمثل الذكورة في سلوكي وأجعلها تتعامد مع الأنوثة حتى ألتقي بذاتي وبصحتي النفسية! هل هناك شيء خاص بالمؤنث ! وماهو !

المؤنث

نلاحظ أن المداخلات والمقالات والكتابات التي تتعاطى موضوعة المرأة تبتدئ بنقد حاد لفرويد , وهذا بحد ذاته أمر هام إنما يجب التوقف أمامه وتوضيحه . ماذا قال فرويد بالضبط !
" إن إحدى أهم المفاجآت التي قدمها التنقيب في ماهو لاواع يكمن في غياب التمثل النفسي للمؤنث. لا نجد بدلاّ منه سوى معادلتين, لهما سمة تقريبية وغير

وافية بشكل واضح : من جهة تمثل الأنوثة بالسلبية , ومن جهة ثانية كائن امرأة = كائن مخصي "

1923 L'organisation génitale infantile in la vie sexuelle

إذاّ لا يوجد أي تمثل نفساني للمؤنث في اللاوعي يتوافق مع التعضية التناسلية التي تميز جنسانية الراشد . واستتبع ذلك كل ماله علاقة بوجود وحضور الأنثى على جميع المستويات وكل العدة المفاهيمية وصولاّ إلى " حسد الذكر " الخ . ملخص هذه المقولة = كائن ناقص قياساّ على الذكر أو الفالوس .

تم نقد فرويد من قبل الجميع ومن قبل المحللين النفسانيين أنفسهم من الأحادية الجنسية الفالوسية إلى مسائل النقص والفقد والحرمان الخ. ولكن هذا النقد يجب ألاّ ينسينا أن فرويد باستماعه للنساء كان محللاّ . استمع للمرأة " اللي ما إلها كلمة." وفتح لها باب الكلام . استمع إلى الهستيريا (الهستيريا هي خطاب اعتراضي لكائن يتأرجح بين الذكورة والأنوثة, ناقد للسلطات حتى أنه يشتم رائحة السلطة ويذهب إليها ويحاججها في عقر دارها , يعاني ويتألم ولكنه بواسطة كلامه يدل من يستمع إليه على مكامن الخلل) . يدين التحليل النفسي للهستيريا باختراعه . الإستماع إلى كلام الآخر لأن هذا الآخر لديه مايقوله .

تابع لاكان خط فرويد , بينهما يوجد تقاطع وتباعد , ولكن الإستمرارية في الخط تبدو اليوم أكثر فيما خص المؤنث , تحديداّ عبر الهستيريا حيث يبقى المؤنث (لدى المرأة والرجل) بشكل أو بآخر مرتبطاّ بالمؤنث . تدفع الهستيريا إلى الإختراع بكل ما للكلمة من معنى = بحث , وجد , أكمل وامتلك مثل مخترع كنز ما . أليست كتابات النساء منذ ما يقرب القرن هي الكنز الذي يكبر ويضيء ! كل ما تفعله الهستيريا هي الروايات /التاريخ , تجعل للتاريخ قيمة أخرى وكتب لاكان كلمة" hystoire " جامعاّ مفردتي histoire وhystérie . الهستيريا هي العصاب القاعدي للكائن المتكلم sujet parlant ومفردة sujet تعني الكائن المنقسم بين الوعي واللاوعي , الكائن المتأرجح حيث جوهره "فالت" منه بحكم طرده من دائرة الإعتراف .

عن أي اعتراف نتكلم !

يعرف الجميع ذكورة اللغة ومفردات اللغة هي الدال signifiants الذي يتحول إلى تمثلات عبر انتاج اللاوعي . بالنسبة للاكان نحن أولاد اللغة قبل أن نكون أولاد آبائنا وأمهاتنا من هنا فلقد قدم المعادلة التالية الرمزي = الدال = الفالوس .
في هذه المعادلة ليست الجنسانية الأنثوية سوى " ثقب " في اللغة , دال ناقص . بناءّ عليه فإن مسألة المؤنث تتسجل حيث لا يستطيع الفالوس أن يسمي , حيث تفشل اللغة التي تعجز عن إيجاد دال لهوية المرأة , من هنا بالذات ليس هناك من هوية أنثوية لأننا لانرى بماذا تستطيع النساء التماهي غير الفالوس- بشكل أكثر دقة بماذا يمكن لتماهيها أن يكون ممكناّ ؟ ليس هناك من جوهر للمؤنث حيث الإفتقاد لما يدل عليه. فراغ ونقص قياسّاّ على الفالوس .
هذه المرجعية (التي نراها في كل كتابات النساء) يجب أن نقرأها ك ouverture وهذا ماشكلته لدى النساء منذ زمن فرويد (الذي سمى هذه المرجعية) وسمحت لهن بكتابة تاريخهن ومستقبلهن كنساء بشكل مختلف عن تاريخ أمهاتهن وجداتهن .
قراءة تاريخي يا عزيزتي عزة سمح لي بتجاوز مرجعياتي (أبي وأخي وزوجي) وسوف أقص عليك حلماّ رأيته في بداية تحليلي , ولم يكتمل معناه إلاّ بعد 12 عاماّ من التحليل حيث شكّل العمر والشباب والأمومة والبحث والمعرفة مطحنة أوجاع لم تتوقف .
الحلم
(أنا أصعد درجاّ ملتوياّ , في الزاوية المظلمة من الدرج , يوجد ناموسية تغطي ماهو موجود , كلما صعدت ينكشف الغطاء عن فالوس منتصب , وبالتالي تنكشف الناموسية le voile عن ثلاثة أعضاء ذكرية منتصبة . أصل إلى باب السطح حيث لاشيء سوى الضوء وهناك تقول خادمتي : ما في شي مدام .) هذا الدال /3 فالوس/ كان المرجع وكان المحور وكنت خادمة هذا النسق الرمزي الذي أبدعه اللاوعي صورة ناطقة . ما في شي مدام . من هذه الرواية انتقلت إلى أنيسة المختلفة عن جدتي التي قضت وهي حامل .

من مثل هذه الروايات ذهب لاكان إلى الأبعد , ودائماّ من باب الإختلاف الجنسي , وفي مقاربة مختلفة جذريأعن فرويد مفادها أن هوية الكائن المتكلم تتشكل في اختلافه في المتعة jouissance الجنسية . النساء لديهن علاقة بنوعين من المتعة : المتعة الفالوسية (مثل الرجال) والمتعة الإضافية suplémentaire et non complémentaire وهنا بالتالي يتسجل الإختلاف بين النساء والرجال . هذه "الإضافة" تجعلهن يأخذن هيئة الآخر الكبير وهذا ما يجذبهم ويفتح باب التأويلات , حيث يستطيع الجسد الوصول إلى ماهو صوفي ومتعال . هنا يسارع لاكان إلى وضع هذه المتعة خارج اللغة . وهذا مالا تقوله النساء . وهنا ندخل في دائرة الصمت والكلام , وكأن الكلام هو أيضاّ يقع في دائرة السلطة والتملك والسيطرة.

ابتدأت المرأة العربية تقول وتتكلم , تكتب تاريخها الإجتماعي (الجندر) ولكن ماذا عنها , من هي ككائن متكلم منقسم , " ليس كله في النظام الفالوسي " pas toute" . أسئلة بصدد التداول .

ولكن فقط كتابة التاريخ هذه , لحظة الكشف هي لحظة ابداع الوجود , اكتشاف الأنثى التي فيها , كلام وبوح يتقرى اختراع الذات ومفتاح كل ذلك هو الكشف عن تلك العلاقة أم/بنت حيث الصمت شبه المطلق . قراءة لتلك العلاقة حيث الأم لا تعطي ما يمكن أن تتماهى به البنت كمرأة /حيث لا وجود لدال للهوية الأنثوية .

إذا لم تتكلم النساء ولم يكن هناك من يستمع , كيف يتم الكشف عن تلك الخبايا . إن آخر كتاب تحليلي صدر في هذا الصدد حمل اسم : l’invention du feminin أي أننا في أول الدرب .

إذا كنت قد دخلت في كل هذا النقاش فلأنني اعتبره في صلب مناقشتي لعزة , وهذه من أهم الفرص أن ندخل , نحن الباحثات, في ابتداع كينونتنا عبر أبحاثنا وتجاربنا. لم أصدر بحثاّ حتى الآن لأنني كنت أبحث في المكبوت والمنفي والمهان (النقص) حيث خبرت " حسد الذكر" واليوم وبعد أن خبرت "الفائض" وصار جسدي في خفة النسيم أستطيع القول إن كل أثقال التمثلات قد انزاحت عن كياني ولم

يعد الفالوس مرجعي ولا الأندروجينية . أستطيع أن أكتب مستعملة أنا المتكلم je وفي هذا حريتي .
لن أدخل في نقاش النتائج التي توصلت إليها عزة والتي مفادها أن المذكر الفالوسي المستقر في اللغة وفي النسق الرمزي سوف يتأثر , إنما فقط في الدائرة الحميمية , حيث نظرة المرأة وتقديرها لهيبته هي رهان سيطرته . أما في المجتمعات المهددة بعدم الأمان / مثلنا/ فسوف تركض النساء وتعلي من شأن الفالوس لأنه الحامي للأمان اليومي ولها ولأولادها فيصبح حديثنا ترفاّ فردياّ , أو ربما العكس. إن كثرة المآسي هي التي تدفع إلى التنقيب والبحث , ربما ذهبت إلى التحليل من كثرة ما "استرجلت" دفاعاّ عن الرجال الذين حلمت لو يحموننني .

ندى صحناوى

قرأت كتاب عزة لسبب وجيه على الأقل : علاقتي الشخصية بالمؤلفة.ولا بد لي من الاعتراف أن صلتي بعلمي النفس و الاجتماع هي صلة حشرية واطلاع عام ليس إلا.

قرأت إذن **الرجولة و تغّير أحوال النساء** وفي ذاكرتي حديث دار بين عزة وبيني يوم صدر كتابها **صحة النساء النفسية بين أهل العلم وأهل الدين** . يومها حاولت مرة تلو الأخرى الانكباب على بحثها بيد أن ما عانيته من فك شيفرة المصطلحات أحبط هممي.

إتصلت يومها بعزة و شكوت لها همي فبشرتني أنها ستستدرك في أعمالها المقبلة وستجتهد في تأليف أبحاث أليفة يطالعها المتخصص وغير المتخصص

بالمتعة ذاتها. وأنا في بودابست الصيف الماضي، انكببت على **الرجولة وتغير أحوال النساء**. الكتاب على مستويين إن صح القول:

مستوى قراءته سلسة وممتعة وإن جاءت طويلة وسردية للمراجع التي توكأت عليها الباحثة، و مستوى هو أقرب إلى الدرس الجامعي الذي منه استفدت كما سيستفيد التلاميذ . أشكر عزة على اهتمامها بقراء وقارئات مثلي فهذا الجزء من الكتاب مفيد وقيم.

أما الجزء الثاني فعانيت ما عانيت وأنا أحاول افتهام ال méthodologie المتبعة في أكثر من فصل. قرأت وقرأت بيد أنني لم أستوعب التسلسل، وهذا برأيي مشكل يجدر أن يحلّ بين القارئ والكاتب. صحيح أن لغتي العربية لا تخدمني دوما، بيد أنني وبعون لغاتي الأخرى افترضت أنني سأسبر غور ما حاولت عزة شرحه.أين الخطأ يا ترى؟ ولم بدا لي الجزء الأول أيسر من الثاني؟ هل الأسلوب الدائري المغلق هو العائق؟

لماذا لا نسمع صوتك أنت يا عزّة أكثر في بحثك؟ قرأت الخاتمة قبل حين وعدت وتصالحت مع كتابك المدهش على مستوى الجهد. عسى أن تصل أبحاثك إلى أكبر عدد من الباحثين والباحثات وأن توضحي لنا كتابا بعد الآخر أقيستك، تلك التي تقوم عليها أبحاثك الميدانية في مجتمع زئبقي ومتغير.

<u>رجاء نعمة</u>

أريد في الحقيقة أن أركز على ثلاث نقاط.

- بداية أحب أن أوضح من وجهة نظري مفهوم الجندر. له معادلات عدة في اللغة العربية منها النوع الاجتماعي. وهو مفهوم أكثر كثافة وتعقيداً من أن يقتصر على

الخلفية الثقافية الاجتماعية. وبهذا المعنى فهو يقع في الحيزين الثقافي والنفسي . لذا وتعليقاً على مداخلة د. أنيسة أوضح أن الجندر لا يتناقض والرؤية النفسانية للانسان بل هو من صميم هذه الرؤية. وبالتالي فإن التحليل النفسي بالذات معني بالجندر. فالخلفية الثقافية لأدوار الجنسين ذات علاقة بالأركان الأساسية التي يعنى بها التحليل النفسي، أي الرمزي والمتخيل والواقعي. فهذه المكونات خاصة بالانسان ونوعه وبصورة أدق خاصة بالجنسين، بعلاقتهما وبأدوارهما وبالخلفية الثقافية والنفسية المعقدة لهذه العلاقة التي تعيد إنتاج الأدوار.

النقطة الثانية: كنتم تتكلمون عن السواء النفسي . أحب أن أسأل عنه. هل محددات السواء النفسي تنحصر فقط في الذكورة والأنوثة ومسألة الأندروجينية ؟ وأن ارتفاع هذه وتلك مؤشر لسواء أكبر أو أقل؟ هذه رؤية استبعادية. نلاحظ أنّ أسوياء كثيرين لا تنطبق عليهم نتائج البحث المتعلقة بالأندروجينية وأن هناك محددات عديدة أخرى ذات صلة قوية جداً بالصحة النفسية غير الذكورة والأنوثة.
النقطة الثالثة تتعلق بالاحصاء . لأي مدى في الإحصاء تعتبر النتائج أو الأرقام ممثلة . أستغرب كثيرا" عندما يقال إن المسلمين بالنسبة لهذه المسألة أكثر أو اقل أندروجينية...أجد الفروقات هنا أكثر طبقية وذو علاقة بمعايير متنوعة. التباين في الآراء بين فريق وآخر لا يعني تباينًا في البنية النفسية. من ناحيتي أرى أن التركيبة النفسية في بلدنا تكاد تكون متماثلة لدى الطوائف، مع فروقات في الأهواء والاتجاهات، فكيف يبنى الجسر بين أرقام الإحصاءات من ناحية و أرضية البحث وأبعاده من ناحية أخرى؟

<u>فادية حطيط</u>

أنا قرأت الكتاب قبل وقت طويل من عقد هذه الطاولة لأنني كنت أعمل على دراسة عن عنترة لكتاب باحثات .وكنت أريد مرجعاً، وكتاب عزّة مرجع أساسي في

الموضوع. لذا أمسكت بهذا الكتاب وقرأته بكل شوق، ولكني في الحقيقة لم أستطع أن أطلع بشيء واضح، ووجدت صعوبة بالغة في فهم خلاصات الكتاب. وهذا الشيء يجعلني أتساءل عندما نكتب كتاباً ما لمن نكتبه؟و من يضع الكاتب في ذهنه؟

بالنسبة لي عندما أقرأ أريد من الكاتب أن يشرح ما يريد، أن يفسر، أن يقدم موضوعه بطريقة واضحة. وفي الوقت عينه عندما يكون الكتاب ككتاب عزة رائداً في موضوعه، فإني أتمنى أن أعطيه مرجعاً للطلاب. ولكن، أعتقد أنه يصعب كثيرا على هؤلاء الطلاب أن يروا أنفسهم فيه، ويصعب عليهم فهم الموضوع مع أنه عنهم ومبني على أقوالهم. لذلك أجد أنه كان من الأنسب أن يذكر أن هذا الكتاب متخصص وهو موجه لفئة محددة، قد تكون فئة الباحثين في الأندروجينية مثلا.

من جهة أخرى، انطلقت الباحثة عزة من مجموعة أفكار وخلاصات لدراسات أجريت في الغرب وهذا أمر إيجابي، لأني اعتقد أن الأفكار لا جنسية لها، وهي تتواصل في ما وراء الحدود الجغرافية، ولكن المشكلة أنها لا تعود في ختام الدراسة الميدانية لتقول لنا هل إن مواقفنا من الأنوثة والذكورة هي نفسها المواقف الغربية أم تختلف عنها؟ هل نحن نتقدم في التفكير عنهم أو لا؟ هل نسير في نفس الاتجاه أو باتجاه معاكس؟ أي أين نختلف ؟ وأين الشيء الخاص بنا؟ وبرأيي كان على الكتاب أن يقدم في خلاصاته أجوبة على هذه الأسئلة، حتى نستطيع أن نضعه في سياق التفكير الجاري في الموضوع. ولأنه لم يقم بذلك فإن القارئ ينهي الكتاب مع الشعور بأنه غير مترابط أو غير منته.

مارلين نصر:

أهنّئ صديقتي عزّة للجهد الكبير الذي بذلته لإنجاز هذه الدراسة الرصينة في مجال جديد غير مدروس سابقاً في لبنان والعالم العربي . ولكن بما أنه ليس لديّ إلمام بموضوع الذكورة ، سأقدّم بعض التساؤلات حول المنهج المتبع والتقنيات المستخدمة.

قرأت، كما طُلِب منّي، القسم الثالث من الكتاب، حول " المعتقدات نحو المرأة والرجل".
وبالرغم من كوني قرأته بتأنّ، إلاّ أنه لم تتكون لدي صورة واضحة عن المعنى أو التفسير النفس-اجتماعي لنتائج التحقيق الميداني . قد يعود ذلك إلى غياب الربط التوليفي (synthèse) بين كثرة النتائج، وغياب الرسوم البيانية التي تقدم النتائج الإحصائية الرقمية بشكل صُوري مختصر ومقارن يساعد القارئ على الاستخلاص. وبالإضافة إلى ذلك،فإن الانطباع بعدم اكتمال المعنى ناتج عن عدم قيام الباحثة بتقديم تفسيرها interpretation النفس-اجتماعي للنتائج الكمية ، الأمر الذي ولّد لديّ الانطباع بان التحليل غير مكتمل . وهي لم تذكر في نهاية القسم الثالث أن هذا التفسير وارد فعلاً في الفصل الختامي من الكتاب.

من ناحية أخرى أشير إلى حدود التقنية المعتمدة في الدراسة، تقنية تحليل آراء الطلاّب من خلال قائمة مسبقة من الخيارات (خمسة لكل موضوع) يجري فيما بعد تكميم نتائجها وتحويلها إلى نسب مئوية. إنها من ناحية لا تترك المجال للمستجوَب بالخروج عنها وإبداء رأي آخر غير مذكور في القائمة المقترحة عليه. ومن ناحية أخرى لا تسمح للمستجوَب أن يعبّر عن رأيه بكلماته وتعبيراته. فهو ، ذكورياً كان أم أنثوياً أو جامعاً الصفتين، بقي أخرس ، إذ حوّلته تقنية الاستبيان إلى "مقترِع" صامت.

الملاحظة الثالثة نابعة من مجال تخصّصي في تقنيّات تحليل الخطاب. إن الطلاب الذين استجوبوا لم يعبّروا بكلامهم الخاص عن آرائهم لأن أسئلة الاستمارات كانت مغلقة، كما أن التصريحات التي قُدِّمت لهم للاختيار، كانت معدّة سلفاً . فلم تترك لهم التقنية المستخدمة أي مجال **للتعبير** عن آرائهم **وصياغة تمثلا تهم ومعتقداتهم**. كل ما كان عليهم هو أن يختاروا جوابا او تصريحا **صيغ سلفاً** من قبل الباحثة أو الباحثين العلماء المختصّين ، أو من فئة اجتماعية أخرى (أساتذة وطلاّب). لن أدخل هنا في نقاش "فوقيّة" و"أسبقية"(apriorisme) وبالتالي محدودية هذه التقنيات التي كُتب عنها الكثير في الثمانينات ، بل أتمنّى على زميلتي العزيزة، التي تتحلّى بطاقة بحثيّة عالية، أن تسلك طرقاً أكثر وعورة و أقل رقمية و"دقة" من التي سلكتها في هذه الدراسة. باختصار،أعتقد أن التقنيات التي تقفز فوق كلام المستجوَبين و تعبيرهم ، يعني فوق خطابهم، هي طرق لا تستطيع أن تُدخِلنا في نفسيتهم الاجتماعية .

ملاحظة أخيرة حول **طريقة بناء** قائمة التصريحات الدالة على "المعتقدات تجاه الرجل والمرأة" التي ارتكز عليها البحث الميداني في القسم الثالث من الدراسة. لماذا طلبت الباحثة من مجموعة من الأساتذة إجراء "

تحكيم أكاديمي"، أي اختيار 80 تصريحا من بين ال500 تصريح التي جمعتعها الباحثة بعد استجواب عدد من الطلاّب والطالبات الجامعيين ؟ إن الأساتذة "المحكِّمين" ال21 (الواردة أسماؤهم في الملحق) أكبر سناً من الطلاّب بفارق جيل أو جيلين (أي بفارق عمر يتراوح بين 25 و40 سنة) . فهؤلاء عندما قرؤوا تصريحات الطلاّب لتحكيمها، حذفوا أكثر من نصفها، فأسقطوا منها، على الارجح، الآراء التي لا تتماشى مع عقليتهم وذهنيتهم الأقدم بجيل أو جيلين . وقد أدّى هذا الخلل الناتج من التحكيم، إلى نتائج في معتقدات **الطلاّب** المستجوبين تجاه الجنسين، وفقاً للقائمة المحكّمة،هذا "الاستنساب" أدّى إلى نتائج قريبة من نتائج البحث الذي أجرته الباحثة قبل عقدين، حول نفس الموضوع. فإنَّ مصفاة الأساتذة المحكِّمين لم تترك، على الأرجح ، مجالاً واسعاً للآراء-التصريحات "الغريبة" عن آرائهم. وبالتالي لم يكن بوسع الطلاّب المستجوبين سوى **الاختيار** من بين آراء صيغت مسبقاً ومرّت بمصفاة جيل أو جيلين سابقين.

<u>حُسن عبود:</u>

تقتصرهذه القراءة على الفصلين الأوّلين: "أزمة في الذكورة" و"ذكورة أم ذكورات" لا على الدراسة الميدانيّة ونتائجها:

لقد قامت عزّة بيضون بجهد كبير في كتابها "الرجولة وتغيّر أحوال النساء: دراسة ديانيّة" للتعريف بمصطلحات ومفاهيم في علم- نفس الجندر بعضها مألوفا ومتداولا في الدراسات النسائيّة و"الجندر" مثل "الجندر" و"الحركة النِسويّة" و"المنمّطات الجندريّة" وبعضها جديداً على هذه الدراسات مثل "المسألة الرجاليّة" و"علم نفس الرجال" و"الذات الجندريّة" مما يجعل كتابها مفيداً خاصّة لدراسات "الجندر" المستعصية الفهم لدى الكثيرين/ات. وقد قامت الدارسة بعرض ترجمة كثير من هذه

المصطلحات المستثمرة في الثقافة الأميركيّة، من اللغة الإنكليزيّة الى اللغة العربيّة، دون توطينها بالسياق الثقافي وسياق الأكاديمية العربية، وان جهدت مشكورة بترجمة المصطلح بدقة وبضبط المفهوم بدراية. ولقد قرأت عرض المصطلحات وفرحت وقمت باستخدام بعض التعريفات في مقالة أعدّها لكتاب الباحثات السنويّ ومحوره "الذكورة".

اما بالنسبة الى خطّة العمل فقد عادت الدارسة الى ما فعلته سابقاً في كتابها *نساء وجمعيّات: لبنانيّات بين إنصاف الذات وخدمة الغير* (2002)، حين بدأت بعرض مرجعيّة الدراسات الغربيّة في علم-النفس الجندر في الفصلين الأولين قبل عرض الدراسة الميدانية وسيرها، مما يرهق القارئ خاصّة الذي لم يتعرّف على هذه الدراسات الرجاليّة والجندر وهي أصلاً طرح غربي، فكيف بعرضها عليه مكثّفة في أوّل الكتاب قبل عرض الدراسة الميدانيّة، وفي معظمها من ميادين علميّة أميركيّة، وقد أكّدت عزّة على السبب الذي دفعها لتقديم هذه الأدبيات في الأول، وهو لتبرير هذه المعارف ومقاربتها مع ما يجري في مجتمعاتنا.

وأقترح مرّة أخرى، ياريت عزّه تبقي هذه الأدبيّات للآخر، فالقارئ يدخل بكل نقاء الى الموضوع، لكنه يضيع في الأدبيات قبل ان تعرض عليه الدراسة الميدانية ويستوعب منهجيّتها، مما يرهقه فيتخلّى عن المتابعة، ومن الممكن، إدخال هذه الدراسات الناشطة في الغرب حول علم نفس الجندر في آخر الكتاب لتشهد على جدواها. لو بدأنا قراءةً بالتعرّف على منهجيّة الدراسة الميدانيّة ثم نتابع سير العمل الميداني خطوة خطوة ثم تجيئ التبريرات لمن سبقنا في هذه العلوم والمفاهيم والتنظيرات لشعرنا حينئذ اننا معنيين، وتواصلنا ضروري مع الأدبيات الأكاديميّة والتتنظيرات المعرفية للدراسات الرجاليّة وعلم- نفس الجندر.

عزّه شرارة بيضون

أتوقف عند بعض النقاط لعلّي أجيب فيها عـن ملاحظـاتكن، وأعتقـد أن إجابـات بعضها الآخر في الكتاب نفسه

راهنية المسألة وشرعية البحث

الرجال يتغيّرون..... أكيد!

لا يفوتني، كقارئة عادية layperson للرواية مثلاً، أن ما بين سـيد أحمـد عبـد الجواد،الشخصـية الطاغيـة الحضـور فـي ثلاثيـة نجيـب محفـوظ، وبـين رشّـود الرجـل المهزوم أمام نسائه، والهش عنفاً وجلافة في روايات رشـيد الضعيف.... بـين هـذين النمطين من الشخصيات ترعى قطعان من الغزلان، لا غزال وحيد.

وأنا سـمعت، مـثلكن، فيـروز تغنـي كلمـات زوجهـا (أو أخيـه لسـت متأكـدة) داعية حبيبها لأن يأتي إليها دون خياله لأنها على مـا تغنّـي... "أنـا خيالـك"... لتعـود بعد ربع قرن من الزمن للغناء بلسان ابنهـا زيـاد " مـش فارقـة معـاي" سـأل الحبيـب عنها أم لم يسأل!

الرجال يتغيّرون، إذاً. وتعبيرات المبدعين عـن ذلـك التغيّـر ماثلـة أمـام الجميـع. وهي، بالطبع ، أكثر بروزاً وصخباً من نتائج بعض البحث العلمي.

لكنني لست ناقدة روائية ولا ناقدة فنية، لأرسـم **خريطـة** لـذلك التغيّـر. فـإن كانت نتائج هؤلاء تعزز ملاحظاتي، فهي لا تشـفي غليل حشريتي كباحثة في علم نفس الجندر.

أودّ، أنا الباحثة، أن أرى وأبين بالحجج الدامغة ، وبتوسّـل المقاييس المعتمـدة في الميدان الذي أبحث فيه... أن أبيّن مدى انتشار ظاهرة التغيّر هـذا لـدى النـاس "العاديين"، وبتعبيراتهم .

وأنا لا أكتفي برصد ذلك التغيّر، بل أرغب بتعيين الفئـات الأكثـر تعرّضـاً لـه، بـل وأبحث عن الوشائج التي تصله باتجاهات وتصورات أخرى تفيد اهتماماتي النسوية.

في كتابي الأخير الرجولة وتغيّر أحوال النساء،بحث عبر نماذج مجتمعيـة عـن الرجولـة الواعيـة لتبـدّل أحـوال النسـاء و الرجـال ، و مفهـوم "الـذكورة" و"الأنوثـة" بالنسبة لها و مقوّمـات الشـريك والشـريكة فـي مجتمعنـا ، دون أن أهمـل الأفكـار المسبقة التي يستبطنها الرجل عن المرأة والمرأة عن الرجل.

هذه، باختصار، هواجسـي البحثية المعبّر عنهـا بالأسـئلة التـي طرحـت فـي هذا الكتاب.

ليس الكتاب مرجعاً في الذكورة، علـى مـا تقـول حُسُـنْ، فـلا أرى فائـدة مـن تحميله ما لا يدّعيه.

نظرية الأندروجينية النفسانية، ماذا ولماذا؟

لا تُصاغ نظرية جديدة، ولا يتبناها باحثون إطاراً لأبحاثهم، إلا لأن النظرية السائدة التي حملت مفرداتُها أسئلتَهم بدت قاصرة عن تأويل ما كانت تدّعي تأويله. هذا هو حال نظرية الأندروجينية النفسانية؛ صيغت هذه النظرية لأن فرضية تضادّ "الأنوثة" و"الذكورة" في القياسات النفسانية هي الأكثر شهرة واستعمالاً في البحث النفساني حول الجندر، وفي العلاج والطب النفسيين.... هذه القياسات أخفقت في فهم كون أكثرية النساء المريضات نفسياً، مثلاً، كن أنثويات؛ أي، ممتثلات للنموذج السائد ومتكيفات مع أدوارهن الاجتماعية المفترضة. وبحيث جاءت النساء الذكريات، وفق قياسها ، أكثر تكيفاً وسواء! وهو ما أثار حيرتها والتباسها.

لكن "المكابرة" ليست سمة الباحثين في علم النفس. كان لا بد من التنبّه إلى أن معاني "الأنوثة" و"الذكورة" تتغيّر وتتغيّر معها ترابطاتها correlates. الصحّة النفسية هي واحدة من هذه الترابطات. الترابط، كما لا يخفى، لا يتضمّن لا السببية ولا الحصرية؛ وما تقوله رجاء صحيح.

صيغ مفهوم الأندروجينية في ميدان علم نفس الجندر في السبعينات، إذاً، بديلاً **تجريبياً؛** وذلك في محاولة لجعل نتائج البحث الميداني التي تصف النساء خاصّة في هذا الميدان تندرج في سياق مفهوم. فازدادت بذلك المنمطات الجندرية من اثنين (متوافق نفسانياً مع جنسه/ غير متوافق نفسانياً مع جنسه) إلى أربعة (يضاف إلى ما سبق، الأندروجيني المتبني لسمات الجنسين بالدرجة نفسها / اللامتمايز الرافض لسمات الجنسين بالدرجة ذاتها). فباتت المنمطات **أكثر رحابة** لوصف هويات جندرية جديدة، هويات النساء والرجال المعاصرين، خاصّة. واندرجت نتائج الباحثين في هذا الميدان في سياق مفهوم؛ أو قل، أكثر قابلية للاتساق مع بعضها بعضاً مما كانت عليه في إطارٍ مفهومَي الذكورة والأنوثة المتقابلَين والمتضادَين.

مصطلح الأندروجينية مستعار من البيولوجيا، تماماً كما هو مصطلح الجندر. ويعرّف على وجه بسيط، لا لُبس فيه؛ فتقتضي **الأمانة العلمية** عدم إسباغ معانٍ عليه لم يدّعِها الباحثون الذين نقشوه. نتكلّم عن سمات شخصية عامّة حُددت اجتماعياً وثقافياً على أنها صالحة لتصف الذكورة والأنوثة. المفهوم غير معني، في معناه الأولي،لا بالسلوك ولا بالمشاعر ولا بالنزوات أو التخيلات ولا بالميول الجنسانية؛ بل يتناول مجالاً محدداً من النفساني هو التصوّرات للذات والآخر. بعض الباحثين بيّن، تجريبياً، ارتباطه ببعض أنماط السلوك، وبمظاهر أخرى مثل الصحة النفسية، التوافق، تقدير الذات، إلخ؛ لكنه لم يتطرّق، في حدود قراءاتي، إلى الميول الجنسية للأشخاص.

الأندروجينية النفسانية، إذ تصف أكثر من ثلث الشابات وأكثر من ربع الشبان، ليست ظاهرة هامشية عندنا. ما تشير إليه أنيسة، في إرجاعها المفهوم إلى أصوله التاريخية، لا يمكن أن يكون صحيحاً في سياق هذا البحث: إذ كيف يعقل أن يكون ربع الشبان وثلث الشابات، الأندروجينيين والأندروجينيات (وفق التصنيف المعتمد) من المثليين الجنسيين؟ كيف يكون الشبان الأندروجينيون مثليين وهم، من وجهة نظر علم النفس التقليدي، ذوو ذكورة مرتفعة؟ كيف تكون الإناث مثليات، من المنظور المذكور، وهن ذوات أنوثة مرتفعة؟

نظريـة الأندروجينيـة، خلافـاً لـبعض النظريـات، لا تـؤوّل مـا لا يقـع فـي نطـاق موضوعها، فلا تتعرّض لصواب نظرية التحليل النفسي في الهويات الجندرية، مثلاً. فموضوع كل واحد منهما يختلف عن الآخر. موضوع التحليل النفسي هو اللاوعي، كما تعرفون؛ فبوسع نتائج الأبحاث في نطاق هذه النظرية أن تجاور تأويلات أنيسة لرغباتها ولأحلامها دون أي حرج: الاثنان يقعان في فضاءين مختلفين.بوسع أنيسة، أو أي واحدة منا، أن تكون أندروجينية في تصوّرها الواعي لذاتها، دون أن يتناقض مع أنوثتها – بالمعنى الاجتماعي- التي تبقى ذات ثقل وافر في هذا النمط من الشخصية. وبوسعها أيضا أن تكون أي شيء آخر في لاوعيها. شخصياً، لا أعتقد أن سطوة اللاوعي على حياة الأسوياء منا عظيمة الأثر على تصوّراته لذاته وللآخرين على نحو لا يمكن التنبؤ به والسيطرة عليه.

لعلّ ما يطمئن أنيسة، ونهى كذلك، (أو قد يكون خلاف ذك، لست متأكدة)، كون نظرية الأندروجينية، برأي واضعيها، مرشّحة للاندثار! وذلك فور تراجع الفروق في المنمطات النفسانية الشديدة / النماذج المرغوبة اجتماعياً والحصرية للمرأة وللرجل. في نتائجي بعض ذلك الاتجاه حتى في مجتمعاتنا.

القراءة والكتابة

كان كتابي هذا مناسبة لتتعرّفن عليّ كباحثة؛ لكنه كان أيضاً إحدى المناسبات التي تعرّفت فيها على أساليب قراءة كتابي. أنا حين أقرأ أو أشاهد أعمالاً فنية، مثلاً، أجدني "متواطئة" مع المؤلّف أو مع الفنان. ويأخذ هذا التواطؤ منحى "الاستسلام" (لا الانبهار!) للإطار المرجعي الذي يسوّر، بالضرورة، كلّ الأعمال الفكرية والفنية مهما بدت حرّة . ما أسميته استسلاماً كان سبيلي إلى فهم أوفر لقراءاتي عامّة، ولكتابتكن أيضاً؛ أي، إلى تمتع حقيقي تمرّنت ألا أسمح لقناعاتي النظرية والفكرية، مهما ترسّخت، أن تمنعني عنه. تعلّمت أن أتجاهل، وإن ظرفياً، أُطُري المرجعية وألا أتمترس خلفها. "الاستسلام" في هذا السياق أراه فعلاً ناشطاً، وعكس ذلك، كان يبدو لي قراءة كسولة؛ الاستسلام للنص، وفق تجربتي الخاصّة، جواز للفهم وللاستمتاع سواء بسواء.

رشا لا تعجبها فكرة "الاستسلام" هذه؛ هي تقترح "المرافقة" بديلاً لها. أنا أؤكد لها أنه لولا الاستسلام هذا لما أخذتني روايتها *يوم الدين*، مثلاً، بما يشبه الانخطاف، إلى عالمها المنساب والمبنيّ في آن معاً؛ لو بقيت كلمات النقاد، (ومن سبقني إلى قراءته من القراء "العاديين")، من "أن اللغة المصقولة هي أهمّ إنجازات هذه النصّ".... لو بقي القول ماثلاً أمامي، لعميت عن "الرواية" وخسرت متعتها. ويسعني قول الشيء نفسه عن تجهيزات ندى، مثلاً.

كتابي ذو منحى علمي؛ هذا أكيد. وهو يجهر بذلك. أما أنه متخصص، كما تقول فادية، فلست متأكدة. مصطلح الأندروجينية بات متداولا، مثلاً، في الإعلام الأنكلوفوني؛ ونظرية الأندروجينية صارت، بعد مدّة وجيزة من إطلاقها، في كتب علم النفس الاجتماعي الجامعية text books عنواناً في الفصول التي تستعرض علم نفس الجندر جنباً إلى جنب مع النظريات الأخرى.

أن تأسف ندى لعدم فهم القاعدة التي استندت عليها لفهم نتائجي الميدانية فهذا ربما ناجم عن غياب الألفة بالمفردات التي استخدمتها هي من علم النفس الاجتماعي/ الجندر. لكنني أطمئن الباحثات إلى أن الطلاب والطالبات (فكيف بالأساتذة؟) في العلوم الاجتماعية والنفسانية لن يعانوا من نفس المشكلة. أتكلّم عن اختبار فعلي. أنا علّمت هذه النظرية في علم النفس الاجتماعي، (فصل الهوية الجندرية)، كما في مادة "علم نفس النساء" في الجامعتين اللبنانية واللبنانية الأميركية. في صف الدبلوم، مثلاً، قام ثلاثة من الطلاب بتطبيق قياساتها ميدانياً على عيّنات مختلفة- تلامذة وعاملات- محدودة العدد دون مساعدتي؛ وذلك في إطار "مذكرة بحث" term paper ، مطلوبة في تلك المادّة . وحين عرضت جزءاً من نظرية الأندروجينية في صف أنيسة (مادّة منهجية البحث)، بناء على طلبها، لاقيت في المحاضرة التبادليةinteractive التي اتّبعتها استجابة تنمّ عن امتلاك هؤلاء الطلاب الخلفية الضرورية من الإحصاء ومن المفاهيم النظرية، سواء بسواء.

صدّقوني، حين نثق بقدرات طلابنا الذهنية، فلا نَحجُب عنهم ما نفترضه صعباً عليهم، نجد ما يفرّح قلوبنا!

دراسات.... دراسات

لا تحتل"الدراسات السابقة" مساحة واسعة من الكتاب فعلاً كما تقول نهى. وهي تشكّل، واقعاً، ثلث صفحات الكتاب. ولا هي من الغرب حصراً، كما تقول حُسْن، وإن كتبت بالإنكليزية، لأن بعض مراجعي الإنكليزية تبحث عن الذكورة العربية. وهي لم تُكتب، على كل حال، بالطريقة "المطلوبة" في الأبحاث العلمية. ما حاولت فعله هو، وكما ذكرت في سياق الكتاب، "رواية" بحثي. فإذا ما استدعيتُ أدبيات تناولَن أوجهاً من موضوعي وتساؤلاتي، فلأن ذلك كان هو المسار **الفعلي** الذي اتبعته تمهيداً للإجابة على تساؤلاتي. وأنا لم أثبت منها إلا ما يفيد في ما ندعوه في الكتابة العلمية بـ" صياغة المسألة" التي نحن بصدد تناولها. أليس هذا ما يفعله كل باحث في موضوع معيّن؟ ألا تشكّل مجهودات من سبقنا إلى تخوم الموضوع، إن لم يكن إلى قلبه، عامل اطمئنان إلى أننا نتشارك وآخرين ببعض الهموم والهواجس ؟ ألا تنير لنا طرائقهم ونتائجهم بعض منعرجات في مسالك البحث الشاقة والملتوية؟

أمّا التعرّجات المثبتة في الكتاب فهي، تحديداً، الطريق التي اتبعتها، صدقاً وأمانة، للوصول إلى إجابات عن تساؤلاتي سواء الجزئية منها أو العامة. وأنا رغبت مشاركة القارئ إياها، كما شاركني إياها من سبقني. وأنا بيّنتها احتراماً لذكاء القارئ وتطلباته التي افترضتها تشبه تطلّباتي؛ وهو ما فعلته، خاصّة، في **تبيئة** contextualization القياسات المستخدمة. لذا، فأنا توقّفت في محطات استوقفتني **أنا شخصياً** مفترضة أنها ستستوقف القارئ الذي أفترض عدم انبهاره بالنصّ وأحترم ذكاءه، وأقدّر "استسلامه" لنصّي – على نحو ما وصفت- في آن معاً.

حاولت أن أستعرض والقارئ، إذاً، مسار بحثي في محاولة الإجابة عن سؤالي الأوّل المطروح في "المقدّمة"في صيغته الإنشائية : "إذا كانت النساء

يتغيّرن، فهل تغيّر الرجال"؟. هذا السؤال هو ما يربط أقسام الكتاب الثلاثة، ويوفّر له كُلِيّتَه الجامعة its Gestalt؛ هي كلّية جامعة تتشكّل في **قراءة كلية** لا في الكتابة فحسب. أما الأقسام الثلاثة، فإجابات عن الأسئلة الفرعية التي اخترتها بوصفها بعض التعبيرات العملانية عن السؤال الأساسي. وهي تكررت في كل جزء لتجتمع مرّة أخيرة في الخاتمة، متقدّمة النتائج التي جاءت مركّبة، بالضرورة. فالأسئلة تطال أكثر من ناحية من الرجولة .

النتائج لا يختارها الباحث. وما تقوله مارلين من أن استخدام الاستبيانات، بدل اللجوء إلى المقابلة المفتوحة بوصفها وسيلة بحثية أنضج (كذا! تقدّم مارلين حكماً سلبياً على وسائل ميادين فرعية كاملة في علم النفس)- يؤدي إلى نتائج معروفة سلفاً من الباحث... هذا القول لا ينطبق على هذه الدراسة. النتائج جاءت **لتنقض فرضيتي الأساسية**؛ وقد تعقّدت تعبيرات استعراضها في الخاتمة بسبب ذلك.

وإني أعترف: إن بذل جهد إضافي في كتابة تلك التعبيرات كان سيكون مفيداً للقارئ لفك تشابكات هذه النتائج، وجعلها أكثر مفهومية.

التأويل ومحاذيره

لا أخفيكن سراً أن بعض نتائج بحثي أثارت حيرتي. لكن حيرتي تختلف عن حيرة بعض من راجع الكتاب من الصحافيين أو الأكاديميين من زميلاتي وزملائي... وبعضكن أيضاً. أتكلّم عمّا أثار اهتمام أكثركن من بروز "الذكورة" العالية لدى الشبان والشابات من الطائفة المسيحية، وتراجعها في الطائفة المسلمة، ومذاهبهما على التوالي.

يضاف إلى ذلك خفوت **تأثير** السمات النفسانية، وتراجع الاختبارات الحياتية، أمام سطوة الانتماءات الأوّلية على الموقف من المرأة وقضاياها؛ وهو ما شكّل نقضاً لفرضيتي الأساسية، كما ذكرت..... وأنا قدّمت تأويلاً لذلك استناداً إلى نتائج دراسات من زملائي الباحثين والباحثات. وقد قدّمت كلّ من نهى وأنيسة، كما قدّمت رفيف في مجال آخر، إضافة مثيرة للاهتمام في نقاشهن لتأويل ذلك.

الذكورة، واقعاً، ذكورات. من الواضح أن "الذكورة" التي يتكلّم عنها النقاد، والتي تكلّم عنها بعضكن، هي غير ما هي عليه وفق التعريف الذي يعتمده هذا البحث. إن السمات التي تتألّف منها "الذكورة" وفق نظرية الأندروجينية تتصف بالاشتمالية inclusive (سماتها ليست مذمومة للمرأة)، وهي ليست إقصائية exclusive (سماتها مرغوبة، وإن بدرجة أقلّ، للمرأة) .

من وجهة نظر "الذكورة" الإقصائية، أي تلك التي تشكّلت تقليدياً وفق الإبستمولوجيا الذكرية الطفلية، وحتى الراشدة (التي تعرّف "الذكورة" على أنها عكس "الأنوثة") من زاوية النظر هذه، لا فرق بين المسيحيين والمسلمين من الشباب؛ الفئتان على الدرجة نفسها من الذكورة العالية!

والذكورة الإقصائية تبيّن أنها الأكثر تأثيراً في رسم هويات الذكور الشباب الجندرية؛ هذه يسعها التنبؤ (التعبير إحصائي بالطبع) بالاتجاهات الجندرية أكثر من "الذكورة" الاشتمالية المقترحة في نظرية الأندروجينية.

ما علّمتني ردود الفعل هذه ما يلي: لا تزال المبالغة بالذكورة هي الأكثر تثميناً؛ لا لدى العامّة من الناس فحسب، إنما لدى العاملين في الثقافة، أيضاً. هؤلاء "هالهم" أن تكون فئة اجتماعية/ دينية أكثر "ذكورة" من أخرى.

اطمئن الجميع! الذكورة الإقصائية أحرزت قصب السبق، ولا فرق بين ذكورة الشباب الإقصائية من **كلّ الطوائف**! بل هي تتنبّأ بمواقف إيجابية نحو المرأة!

أما بالنسبة للنظرية الأندروجينية، ووفق الاتجاه النسوي الذي صيغت في إطاره، فالطوائف (المذاهب) كلّها "رابحة" بالدرجة نفسها: تواتر نسبة الأندروجينيين من الشباب هي نفسها في الطائفتين.

لكن الطوائف "خاسرة"، أيضاً، بالدرجة نفسها..... إذ ما نفع أن تتمتّع فئة من الشباب بكوكبة من السمات الثمينة الفكرية والشخصية والإبداعية والفعالية والأداتيةinstrumentality إلخ ("الذكورة") إذا لم يرافقها، وبالشدّة ذاتها، سمات ثمينة أخرى: العلائقية والحضنية والتعبيرية ("الأنوثة") .....

إذا لم تسخّر هذه الفئة من الشباب إبداعيتها وفعاليتها وقدراتها الأداتية في الاعتماد المتبادل مع الآخر، والمتحققة في تثمين العلاقة معه، وفي السعي لحضنه، وفي تبادل التعبير معه. إذاً لم تكن أندروجينية، فهي من وجهة نظري،(وجهة نظر النسوية، أو قل التيار النسوي الذي أنتمي إليه) ... إذا لم تكن كذلك، فهي محتاجة لمراجعة وتدقيق. هو ما تفعله، بالمناسبة، حلقات النقاش التي تنظمها المنظمات النسوية عندنا في برامج التحسيس الجندري.

نظرية الأندروجينية ليست ودودة، وفق ما قلت، لأيّ من الطائفتين؛ لأنها ترى إلى تبنّي سمات "الذكورة" واستبعاد سمات "الأنوثة" ، أو العكس، خسارة تتمثّل بارتباط كلّ منهما،على حدة، بظواهر سيكولوجية غير محبّذة؛ فيما تبيّن الأبحاث التي أجريت في نطاقها أن تضافرَهما يرتبط بسمات إيجابية.

عكس التوقع..... أين المشكلة؟

يبقى أن ظاهرة الأندروجينية (غير الهامشية بين شبابنا) تكتسب معناها في ثقافة اجتماعية معيّنة مع ارتباطاتها بظواهر أخرى. هذا ما استوقفني فعلاً:

في حين نجحت نتائج بحثي الميداني في إبراز ارتباطات في تصوّر الشباب لشريكاتهن المستقبلية، فهي أخفقت في تبيان ارتباط بين الأندروجينية وبين الاتجاهات الإيجابية نحو المرأة وقضاياها، أو في طبيعة معتقدات الشباب حول أدوار المرأة والرجل. نتائجي تناقضت مع الحجّة المنطقية والملاحظة اللتين اعتمدتهما في صوغ إحدى فرضياتي الأساسية، وهي جاءت متناقضة مع نتائج الباحثين من المجتمعات الصناعية!

ما المشكلة؟ أليس ذلك أكثر إثارة لاهتمامنا، نحن الباحثات والباحثين؟ ألا يفتح ذلك الباب على أسئلة إضافية ؟ ألا يدعونا للنظر في مشروعية السؤال في هذا الوقت من زمننا الاجتماعي والسياسي؟ أليس مفيداً لنا في بلادنا- حيث البحث العلمي ما زال ممارسة غير متجذّرة -أن نتساءل حول صواب استعارة مفاهيم

نقشت في ثقافات اجتماعية أخرى؛ وذلك برغم ما بذلنا من جهود لجعل القياسات المستخدمة في أبحاثنا صادقة ثقافيا culturally valid؟ هل يتعيّن اللجوء إلى القياسات التقليدية والجديدة جنباً على جنب تعبيراً عن أحوال مجتمعاتنا المتحوّلة؟

هذه أمور تشغلنا، نحن الباحثين والباحثات في علم نفس الجندر تحديداً؛ وتزوّد غير المتعصّبين منا، اللواتي والّذين جهدوا لتحييد "نظرياتهم المفضّلة" قابلين بما ندعوه في علم النفس بـ" تحمّل الغموض"؛ وقياساً على القياسات التي استخدمها العاملون في نطاق نظرية الأندروجينية، تجنّبوا "إقصاء" النظريات والمقاربات والطرق الأخرى في البحث والمعالجات.

ألا توافقنني الرأي بأن "بقايا" residues أي بحث بمثابة حوافز لتعميق ولتوسيع المعرفة في مجال ما زال بحاجة لكثير من البحث؟
ألا تغذي هذه "البقايا" ما نرعاه بحرص في عيشنا لمهنتنا؟
أليس الهوس والانشغال الدائمَان بـ"البقايا" من بعض وقود ذلك العيش وأسباب إثارته؟

اسمحن لي، أخيراً، أن أعبّر عن امتناني لفرصة النقاش التي يوفّرها لنا "تجمّع الباحثات اللبنانيات" ..... ولأن أستعير العبارة التي تذيّل بها المسؤولات عن نشاط "نقاش أبحاث" في "تجمّع الباحثات اللبنانيات" دعواتهن للمشاركة في حلقات الحوار التي ينظمها هذا النشاط لأؤكّد لكن بأن..... "ملاحظاتكن أغنتني"! فهي بيّنت لي أساليب متنوّعة من القراءة للنص نفسه، وحفّزتني على"اشتمال" تنوّعات تلك القراءات في كتاباتي المستقبلية.